أحمد عز الدين أسعد *

العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية: رهانات الهيمنة والتغلغل في إفريقيا

مقدمة: بتر الأطراف بعد شدّها

تسعى إسرائيل من تدخلاتها المتنوعة في أثيوبيا وعموم القارة الإفريقية لتحقيق أهداف إسرائيلية مركزية نابعة من إستراتيجيتها اتجاه إفريقيا، وخصوصًا شمال إفريقيا وشرقها، وأحد أهم تلك الأهداف التحكم في مسألة المياه في القارة الإفريقية، وبالتحديد إحكام سيطرتها على النيل من خلال علاقاتها وهيمنتها على دول المنبع ودول المصب؛ تمنح هذه العلاقة إسرائيل الهيمنة والقوة في إضعاف الدول العربية وخصوصًا مصر التي يعتبر النيل شريان حياتها الرئيس، إضافة إلى تأثيرات ذلك على السودان. وإلى جانب السيطرة على الممرات المائية وخصوصًا البحر الأحمر كونه يمثل رئة تجارية لإسرائيل وعنصرًا مهمًا في جيوبوليتك المنطقة.

قامت الإستراتيجية الإسرائيلية على مبدأ التحالف مع الأطراف وأطراف الأطراف، من أجل محاصرة دول الطوق وإضعافها، وكان التحالف القديم قائما على شد الأطراف، مثل التحالف مع إيران- الشاه، تركيا، أثيوبيا وغيرها من الدول، والتحالف مع الأقليات داخل الوطن العربي لضرب الدولة العربية وتفتيتها؛ مثل التحالف مع الأكراد في شمال العراق، والتحالف مع الأقليات في جنوب السودان، وربما «النبش» والبحث في الأرشيف الإسرائيلي يبين لنا خارطة التحالفات والعلاقات والمراسلات السرية والدبلوماسية والتجارية وغيرها التي كانت تقيمها إسرائيل مع دول كبيرة في الإقليم وفي آسيا وإفريقيا ودول أخرى، ومع الأقليات ومراكز صنع قرار وشركات وغيرها.

بعد عقود من التحالفات والعلاقات السرية والأمنية أو

* باحث في الدراسات العربية والإسرائيلية.

يعود تاريخ العلاقات الإسرائيلية الإفريقية للسنوات الأولى من قيام إسرائيل، وبيّن روبرت دوسي أن العلاقات كانت ذات صلة بالبعد التنموي الذي تقدمه إسرائيل للدول الإفريقية. وقبل حلول ستينيات القرن الماضي أقامت إسرائيل علاقات مع 33 دولة إفريقية. وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين كانت لها علاقات رسمية مع 39 دولة في القارة.

العلاقات ذات الطابع العسكري، التي تهدف إلى إضعاف الدول العربية وخصوصًا مصر والعراق وسورية كدول عربية مركزية في خارطة الصراع العربي الإسرائيلي؛ تحولت الإستراتيجية الإسرائيلية من مبدأ شد الأطراف وإثارة الحروب والنزاعات داخل الدول العربية، أو بين الدول العربية والدول المجاورة؛ إلى إستراتيجية جدية تقوم على مبدأ بتر (قطع) الأطراف، وقد يكون خير مثال على هذه الإستراتيجية (انفصال جنوب السودان عام ٢٠١١)، وربما تقع عمليات بتر أخرى ترعاها وتعززها إسرائيل.

يأتي التعاقد والتحالف الإسرائيلي مع أثيوبيا في سياق الرؤية الإستراتيجية الإسرائيلية، للهيمنة على الإقليم،[١] ولعب دور الفاعل المركزي في توازناته؛ وتحريك الإقليم وفق الإستراتيجية الإسرائيلية؛ وقد تغلغلت إسرائيل في أثيوبيا قديمًا، لكن استأنفت التغلغل باستثمارات وتدخلات أوسع في مجالات متعددة منها الطاقة والزراعة والمياه والأمن والاكاديميا وغيرها من المجالات، وكل تلك التدخلات تقوم على رؤية قوامها الاستعمار الاستيطاني- الاستغلالي بروح استشراقية استعلائية.

أولًا. إسرائيل وإفريقيا: إستراتيجيا الهيمنة الإسرائيلية والاستغلال

يعود تاريخ العلاقات الإسرائيلية الإفريقية للسنوات الأولى من قيام إسرائيل، وبيّن روبرت دوسي Robert Dussey أن العلاقات كانت ذات صلة بالبعد التنموي الذي تقدمه إسرائيل للدول الإفريقية، وقبل حلول ستينيات القرن الماضي أقامت إسرائيل علاقات مع ٣٣ دولة إفريقية. وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين كانت لها علاقات رسمية مع ٣٩ دولة في القارة، وتستضيف حاليًا ما يقارب ١٥ سفارة إفريقية.[٢]

وقد وثقت إسرائيل علاقاتها مع الدول الإفريقية غير العربية وخصوصًا التي لها وزن في الجيوبولتيك العسكري والأمني والمائي لإسرائيل والوطن العربي مثل أثيوبيا، كما وثقت علاقاتها مع الأقليات غير العربية في الدول العربية الإفريقية (الأقليات في جنوب السودان قبل انفصال الجنوب عام ٢٠١١)، كذلك كان لإسرائيل علاقات مع أنظمة حكم رجعية عربية كانت ضد المد القومي العروبي بزعامة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠).

لقد تخوف ديفيد بن غوريون (أول رئيس وزراء لإسرائيل) بعد قيام إسرائيل من ظهور قائد كاريزماتي يوحد العرب على غرار القومية التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، وبدت تلك التخوفات بالبروز مع ظهور جمال عبد الناصر في أعقاب ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، وقد وجه بن غوريون جل جهده لإفشال طموح عبد الناصر الذي حول القومية العربية من فكرة إلى مشروع سياسي، وتوجه بن غوريون إلى إسقاط المشروع القومي الناصري من خلال محاربة الدول الخطيرة على إسرائيل في الوطن العربي؛ وهي دول الطوق وبخاصة مصر، فقد سعى بن غوريون إلى أحداث شقوق في الجسد العربي، وبحث عن مصالح مشتركة مع نخب عربية، ومع أقليات عرقية أو طائفية في الوطن العربي، وكذلك سعى إلى إقامة تحالف مع دول الحزام، أو دول الأطراف الواقعة في أطراف الوطن العربي ضد دول القلب المحاذية لفلسطين، وضمت دول الحزام في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي كلا من تركيا وإيران- الشاة وأثيوبيا والسودان واليمن أيضًا.[٣]

لقد نقلت أماني الطويل مقولة بن غوريون أو ما يعرف «بمبدأ شد الأطراف» من خلال رسالة وجهها إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٥٨ جاء فيها «أن الجهد الإسرائيلي لإضعاف الدول العربية ينبغي ألا يحشد على خطوط المواجهة فقط مع دول المواجهة، بل يجب أن ينتشر ليصل إلى قلب الدول العربية التي يمكن أن تصبح دول دعم وإسناد»؛[٤] أي إن مبدأ شد الأطراف والتغلغل في الدول العربية والتحالف مع الأقليات هي محاولة لتأسيس احتياطي كبير للهيمنة

تعتبر أثيوبيا إحدى أهم الدولة الإفريقية من وجهة نظر الإستراتيجية الإسرائيلية؛ كون أثيوبيا البلد الوحيد غير العربي الذي يحول دون أن يصبح البحر الأحمر بحرًا عربيًا. ويساعد التحالف مع أثيوبيا إسرائيل في الوجود العسكري في البحر الأحمر، ويسهل دعم المجموعات الانفصالية في جنوب السودان (التي انفصلت عام 2011)، علاوة على الاهتمام الإسرائيلي بضرب ثورة أريتيريا لأن انتصارها (آنذاك) كان سيعني قيام دولة عربية جديدة هناك.

والسيطرة والذخر الإستراتيجي لإسرائيل لتقوم باستغلال ذلك الاحتياطي لشد الأطراف على دول الطوق العربية وإزعاجها، أو ضربها في خواصرها الرخوة.

كما بينت الطويل أن محددات الإستراتيجية الإسرائيلية في القارة الإفريقية بعدد من الأمور، أهمها: إضعاف عناصر القوة الشاملة للعرب (تحويل نقاط الضعف العربية إلى معضلات)؛ التطلعات المائية لإسرائيل (النيل في إفريقيا)؛ الاهتمام بالبحر الأحمر كممر على العالم (بدون البحر الأحمر تتحول إسرائيل إلى دولة حبيسة)؛ وفي مجال الاقتصاد هناك مطامع في الثروات الإفريقية (استيراد وتصدير واستغلال موارد إفريقيا المتعددة)؛ محاربة الإسلام السياسي (من خلال دور أمني إسرائيلي في القارة). وقد عملت إسرائيل بكثافة على تحقيق إستراتيجيتها في إفريقيا من خلال عدد من المداخل منها: تجارة السلاح والتعاون الأمني؛ مدخل المساعدات المالية والمجتمع المدني؛ وغيرها من أدوات القوة الناعمة والصلبة.[٥] وكانت أثيوبيا إحدى أهم الدولة التي تحقق تطلعات إسرائيل وطموحاتها وإستراتيجيتها في إفريقيا، وبإمكانها تحقيق مبدأ شد الأطراف وبترها عند الحاجة (مثل بتر جنوب السودان، وحاليًا هناك محاولات بتر لدول عربية أخرى).

ثانيًا. أهمية أثيوبيا في الإستراتيجية الإسرائيلية

تقع أثيوبيا في شرق إفريقيا وهي مطلة على البحر الأحمر، وفيها منابع مهمة ورئيسية لنهر النيل الذي يغذي مصر والسودان؛ أي إن إقامة علاقات إسرائيلية إستراتيجية مع أثيوبيا وإقامة تعاون أمني وعسكري ومائي وزراعي معها؛ يؤدي إلى الهيمنة والتحكم في الإرادة السياسية الأثيوبية أو التأثير عليها بخصوص علاقاتها وسياساتها وتوجهاتها حيال إقليم شرق إفريقيا وشمالها؛ أي علاقتها مع الدول العربية المجاورة وخصوصًا السودان ومصر؛ بمعنى أخر أن التعاون واختراق أثيوبيا وتعزيز العلاقات معها يتقاطع مع محددات الإستراتيجية الإسرائيلية اتجاه إفريقيا كما بينتها الطويل -أعلاه-.

تعتبر أثيوبيا إحدى أهم الدولة الإفريقية من وجهة نظر الإستراتيجية الإسرائيلية؛ كون أثيوبيا البلد الوحيد غير العربي الذي يحول دون أن يصبح البحر الأحمر بحرًا عربيًا. والتحالف مع أثيوبيا يساعد إسرائيل في الوجود العسكري في البحر الأحمر، ويسهل دعم المجموعات الانفصالية في جنوب السودان (التي انفصلت عام ٢٠١١)، علاوة على الاهتمام الإسرائيلي بضرب ثورة أريتيريا لأن انتصارها آنذاك يعني قيام دولة عربية جديدة هناك. وكانت أثيوبيا أول بلد إفريقي أقامت فيه إسرائيل قنصلية سنة ١٩٥٦، وتقوم وحدات من الجيش الإسرائيلي بتدريب وحدات المظليين والشرطة الأثيوبية، وكانت البعثة العسكرية الإسرائيلية في عهد الإمبراطور هيلا سلاسي تقارب بحجمها حجم بعثة الولايات المتحدة الأميركية، إذ بلغ عدد أفرادها نحو ١٠٠ ضابط وفني، واستمرت العلاقات العسكرية الإسرائيلية الأثيوبية رغم قطعها من قبل الإمبراطور بعد حرب ١٩٧٣، وعادت بعد انسحاب الخبراء السوفييت من أثيوبيا ورفض الخبراء الأميركيين التعاون مع أثيوبيا، فعادت العلاقات الدبلوماسية وتبادل الخبرات في عام ١٩٨٩.[٦]

شكل وجود إسرائيل في أثيوبيا مصدر خطر على العرب في نهايات القرن العشرين، ومن تلك الأخطار: دعم المجموعات الانفصالية في جنوب السودان (في مرحلة ما قبل لانفصال)، إقامة إسرائيل محطات تجسس داخل الأراضي الأثيوبية؛ خطر التدخل الإسرائيلي في جريان مياه نهر النيل، كون نهر النيل يعتبر مصيريا لمصر والسودان، وأن نسبة ٨٥٪ من مياه نيل مصر تأتي من مصادر ومنابع في أثيوبيا، و١٥٪ تأتي من منابع أعالي النيل في أوغندة وزائير؛ والنيل هو المصدر شبه الوحيد لتزويد مصر والسودان بالماء.[٧] لقد عملت إسرائيل على تنسيق الإستراتيجيات الثنائية مع أثيوبيا «لتسهيل التعامل مع أي صراع قد يحدث بين دول المنبع والمصب حول مياه النيل، وما ساعد إسرائيل في ذلك قلة الخبرة الفنية لدى أثيوبيا وضعف إمكاناتها الاقتصادية وحاجتها للمساعدات الاقتصادية التي تمنحها لها إسرائيل منذ التسعينيات في نواح

نتنياهو مع رئيس الوزراء الإثيوبي ابيي أحمد في القدس في أيلول ٢٠١٩.

عدة، زراعية وصحية وتنموية وفنية وعسكرية».[٨]

إلى جانب ذلك الاهتمام الأمني والإستراتيجي بأثيوبيا من قبل إسرائيل؛ فهناك علاقة عرقية- دينية مع أثيوبيا تتمثل بوجود يهود الفلاشا في أثيوبيا. وقد بين إحسان مرتضى أن بداية عام ١٩٧٣ شهدت حدوث تحول في الموقف الصهيوني تجاه الفلاشا. فقد أعلن الحاخام شلومو غورن أن أعضاء هذه الجماعة اليهودية هم في الواقع من أحفاد قبيلة دان، وهم يهود حقيقيون وقد طبق عليهم قانون «العودة» (بعد أن كانت الوكالة اليهودية تنصحهم بالتنصر). بدأت عملية التهجير حوالي ١٩٧٧ وكانت تصل إلى بضع مئات، وحينما قامت الثورة الأثيوبية، توقفت العملية ثم استمرت بشكل سري. ثم وضع مخطط التهجير في أواخر السبعينيات. وفي عام ١٩٨٤، نفذ مخطط التهجير على نطاق واسع فيما عرف باسم (عملية موسى)، فتم نقل حوالي ١٢ ألف أثيوبي عبر جسر جوي سري عبر السودان، وقد تمت العملية في سرية كاملة.[٩]

لقد بلغ عدد السكان من أصل أثيوبي في إسرائيل في نهاية عام ٢٠١٨، ١٥١,٨٠٠ نسمة؛ حوالى ٨٦،٩٠٠ ولدوا في أثيوبيا، و٦٤،٩٠٠ ولدوا في إسرائيل لأبوين ولدوا في أثيوبيا. في عام ٢٠١٨، وصل ٢٠٨ مهاجرين من أثيوبيا إلى إسرائيل. (من بين هؤلاء، كان ٥٦ مهاجرًا و١٥٢ وصلوا في وضع مختلف- في معظم الحالات، بموجب لم شمل الأسرة). يعيش أكثر من ٦٠٪ من السكان من أصل أثيوبي في منطقتين رئيسيتين: حوالى ٣٨٪ في المنطقة الوسطى في إسرائيل وحوالى ٢٥٪ يعيشون في المنطقة الجنوبية. في نهاية عام ٢٠١٨، كانت نتانيا هي المنطقة الحضرية التي تضم أكبر عدد من السكان من أصل أثيوبي (حوالى ١١٩٠٠ شخص). ومع ذلك، فإن أعلى نسبة من السكان من أصل أثيوبي من إجمالي السكان وجدت في كريات ملاخي (١٦,٣٪).[١٠] يمكن القول بكلمات أخرى؛ إن هناك مجتمعا أثيوبيا داخل المجتمع الإسرائيلي؛ وبالمقابل هناك مجتمع إسرائيلي- يهودي داخل أثيوبيا؛ وعملت العلاقة بين الجهتين وتعمل كضمان لتطور العلاقات ودفعها إلى مزيد من التقدم في عدد من الملفات بين البلدين.

ثالثًا. أثيوبيا بوابة إسرائيل إلى إفريقيا: السياسات والأدوات

٣,١ تأزيم مياه النيل: سد النهضة ورهانات تطبيع التنمية

قامت شركات إسرائيلية بتقديم خدماتها لأثيوبيا في مجالات

البنيــة التحتيــة، وهنــاك شــكوك وأخبــار تشــير إلى أن شركات إسرائيليــة تعمــل عــلى تطويــر منظومــة دفاعيــة صاروخيــة مــن نــوع ســبايدر إم آر Spyder-MR لحمايــة ســد النهضــة في أثيوبيــا.[١١] يقــود بنــاء الســد إلى تأثــير كبــير عــلى حصــة مــصر والســودان مــن ميــاه النيــل الأزرق، مــا يؤثــر عــلى الأوضــاع الزراعيــة والصناعيــة والســياحية في مــصر، ويعمــل الســد عــلى تطويــر قطــاع الزراعــة والكهربــاء في أثيوبيــا ودول الجــوار ويحســن مســتوى الدخــل القومــي في أثيوبيــا. والخطــر مــن كل ذلــك أن تأزيــم مســألة الميــاه بــين أثيوبيــا ومــصر يفتــح البــاب الواســع للعــب إسرائيــل دورا مبــاشرا وواضحــا في الأبعــاد الأمنيــة والسياســية والخدماتيــة ومســألة الميــاه والتطبيــع وغيرهــا.

حتــى تعالــج مــصر أزمــة الميــاه ونقصهــا فإنهــا ســوف تلجــأ إلى إسرائيــل للوســاطة مــع أثيوبيــا، أو لإيجــاد حلــول أخــرى داخــل مــصر. وبينــت مقالــة منشــورة عــلى موقــع معهــد أبحــاث الأمــن القومــي الإسرائيــلي أن مــصر قــد عانــت في العقــود الأخــيرة مــن نقــص متزايــد في الميــاه، وعليهــا الآن معالجــة مجموعــة مــن التحديــات المتعلقــة بإمــدادات ميــاه موثوقــة، والحفــاظ عــلى جودتهــا، ومنــع تسربهــا مــن الأنابيــب. كمــا أن انفتــاح مــصر عــلى المســاعدة الخارجيــة في التعامــل مــع مشــكلة الميــاه، إلى جانــب الخــط البراغماتــي الــذي يقــوده الرئيــس المــصري عبــد الفتــاح الســيسي في هــذا الموضــوع، قــد يخلــق فرصــة لتوســيع التطبيــع مــع إسرائيــل. وإن توفــر المعرفــة الإسرائيليــة في مجــالات إدارة الميــاه، وتقنيــات إعــادة التدويــر، وتحليــة الميــاه، والاســتهلاك المبســط للميــاه، والزراعــة الصحراويــة تطــرح إمكانــات هائلــة لمجموعــة مــن التعــاون. اســتخدمت إسرائيــل المــوارد المائيــة لتعزيــز العلاقــات مــع الأردن، وإضافــة بعــد مماثــل للعلاقــات مــع مــصر يخــدم مجموعــة مــن المصالــح: تعزيــز الاعــتراف المــصري بفوائــد الســلام؛ توســيع نطــاق العلاقــات الثنائيــة عــلى المســتويين الحكومــي والمدنــي عــلى كلا الجانبــين؛ ومنــع الفقــر المائــي الــذي يهــدد الاســتقرار المســتقبلي لمــصر والمنطقــة.[١٢]

كمــا بــين وليــد عبــد الحــي (خبــير في الدراســات المســتقبلية) أن إسرائيــل تقــوم بــدور في تأجيــج أزمة ســد النهضــة، «تؤكــد مصادر مختلفــة وجــود طابــق كامــل في مبنــى وزارة الميــاه والكهربــاء الأثيوبيــة يقيــم فيــه خــبراء الميــاه الإسرائيليــون، وهــم يقدمــون الخــبرة التفاوضيــة والفنيــة للفــرق الأثيوبيــة». وبــين عبــد الحــي أن ســد النهضــة لــم يكــن مدرجًــا في الخطــة الخمســية الأثيوبيــة ٢٠١١-٢٠١٥ ولــم تتــم الإشــارة إلى ســدة النهضــة الــذي يكلــف مبالــغ ماليــة ضخمــة في الخطــة الإســتراتيجية للدولــة، ويفــسر عبــد الحــي بدايــة بنــاء الســد عــام ٢٠١١ وهــو عــام اشــتعال ثــورات الربيــع العربــي، حيــث كانــت مــصر مشــغولة بالثــورة والتحــولات السياســية، وعملــت إسرائيــل عــلى تأمــين ورقــة ضغــط عــلى مــصر مــا بعــد الثــورة مــن خــلال التحكــم بميــاه نهــر النيــل عــبر دعــم التوجــه الأثيوبــي إلى إنشــاء الســد.[١٣]

مــا تحــاول إسرائيــل اســتفادته مــن مســألة الميــاه في أثيوبيــا عــدد مــن الأمــور: أهمهــا: لعــب دور مبــاشر وواضــح في الإقليــم خصوصــاً دورهــا كخبــير وحكــم وخصــم إقليمــي في آن؛ الاســتفادة مــن مشــاريع الطاقــة والتنميــة والبنيــة التحيــة في أثيوبيــا وتحقيــق أربــاح مــن ذلــك؛ دفــع أثيوبيــا للعــب دور وكيــل إسرائيــل في شرق إفريقيــا وأجــزاء أخــرى مــن القــارة وخصوصًــا بعــد قيــام أثيوبيــا ببيــع الطاقــة والمســاهمة في التنميــة في دول الجــوار؛ ضعضعــة الظــروف الزراعيــة والتجاريــة والصناعيــة والمائيــة في مــصر بعــد خفــض تدفــق ميــاه النيــل الأزرق إلى مــصر؛ هــذا ســيدفع مــصر إلى الاســتفادة مــن الخــبرات الإسرائيليــة في مجــال الميــاه والزراعــة والتغلــب عــلى شــح الميــاه؛ أي تعميــق بنيــة التطبيــع والارتبــاط مع إسرائيــل، إلى جانــب كل ذلــك في حــال تدهــور العلاقــة والذهــاب نحــو خيــارات عســكرية بــين مــصر وأثيوبيــا ســتكون لإسرائيــل دور أمنــي وعســكري في تلــك المواجهــات. وكل الغايــات الإسرائيليــة التــي ذكــرت تهــدف بالأســاس إلى إضعــاف مــصر الدولــة والــدور عــلى اعتبــار أن إضعــاف النظــام غــير كاف؛ وإنمــا إضعــاف الدولــة هــو الأســاس، حتــى لــو تبــدل النظــام وجــاء نظــام آخــر مختلــف في سياســاته مــع إسرائيــل، تكــون بنيــة الدولــة وإمكانياتهــا هشــة وغــير قــادرة عــلى مواجهــة إسرائيــل، وتكــون الدولــة المصريــة غارقــة في نزاعاتهــا مــع أثيوبيــا، إلى جانــب انشــغالها في مســألة الميــاه وتأمــين مقومــات الحيــاة الأساســية للســكان.

٣,٢ الزراعــة والثقافــة والتكنولوجيــا: قــوة ناعمــة للهيمنــة في أثيوبيــا وإفريقيــا

عــلى الرغــم مــن أن العلاقــات الإسرائيليــة الأثيوبية قديمــة، إلا أن عــام ٢٠١٦ شــهد نقلــة نوعيــة في تعميــق العلاقــات بــين البلديــن. اســتقبل وزيــر خارجيــة أثيوبيــا تيــدروس أدهانــوم في (٣٠ أيــار ٢٠١٦) يــورام إلــرون (نائــب المديــر العــام للشــؤون الإفريقيــة في إسرائيــل). وأقــر إلــرون بالعلاقــات الاجتماعيــة والاقتصاديــة والسياســية الممتــازة بــين أثيوبيــا وإسرائيــل وشــدد عــلى أن بــلاده تأمــل في تعزيــز العلاقــات المســتمرة بــين البلديــن في المســتقبل. وبحــث الجانبــان زيــارة رئيــس الــوزراء بنيامــين نتنياهــو لأثيوبيــا (حدثــت في تمــوز ٢٠١٦) والعلاقــات الثنائيــة الأخــرى. وقــال تيــدروس إن زيــارة رئيــس الــوزراء ســتعزز الروابــط السياســية والاقتصاديــة والاجتماعيــة بــين البلديــن. وبينــت النــشرة أن إسرائيــل قدمــت غــذاء مخصبــا لمــا يقــارب ٥٠٠٠ طفــل تحت ســن الخامســة في المناطــق المتــضررة مــن الجفــاف والتــي تعانــي مــن

يتمثل ما تحاول إسرائيل استفادته من مسألة المياه في أثيوبيا بعدة من الأمور: أهمها: لعب دور مباشر وواضح في الإقليم خصوصاً دورها كخبير وحكم وخصم إقليمي في آن؛ الاستفادة من مشاريع الطاقة والتنمية والبنية التحية في أثيوبيا وتحقيق أرباح من ذلك؛ دفع أثيوبيا للعب دور وكيل إسرائيل في شرق إفريقيا وأجزاء أخرى من القارة.

انعدام الأمن الغذائي في أثيوبيا. إلى جانب تدريبات وعلاقات تقوم بها إسرائيل لدعم المجتمع المدني في أثيوبيا. وتعاون على مستوى البلديات لإنشاء مدن أكثر ذكاءً، كما شارك صانعو أفلام إسرائيلية في عروض العاصمة أديس أبابا، وبحثت سبل التعاون بين الراقصين ومصممي الرقصات بين البلدين، والتعاون في مجال الإنتاج الموسيقي وتدريب على المسرحيات الرقمية الافتراضية والأزياء والتصميم.[١٤]

كما زار السفير الإسرائيلي رافائيل موراف (Raphael Morav) جامعة جيما (Jimma University) والتقى بكورا توشون (Mr. Kora Tushune)، القائم بأعمال رئيس الجامعة. ناقش الطرفان تعزيز التعاون المستمر في الأكاديميا والبحوث والزراعة. وزار السفير الإسرائيلي الموقع الذي أنشأته وكالة التنمية والتعاون الدولي الإسرائيلية (ماشاف)، بالشراكة مع الوكالة الأميركية للتنمية الدولية في أثيوبيا، في إطار مشروع البستنة لأصحاب الحيازات الصغيرة (SHP)، ويشمل التعاون على تطوير مشتل للأفوكادو وأشجار البابايا والزراعة البينية، ومزرعة استنساخ يتم ربطها بواسطة النظام الشمسي الإسرائيلي. ورفعت جامعة جيما شعار «نحن في المجتمع»، ويقدر الأكاديميون والسياسيون الأثيوبيون مساهمة إسرائيل في دعم المجتمع الأثيوبي والجامعة.

كذلك؛ ألقى السفير الإسرائيلي محاضرة عامة في حرم الزراعة بجامعة جيما. حضر المحاضرة أعضاء مجلس شيوخ جامعة جيما والباحثون وطلاب الدراسات العليا. إلى جانب ذلك التعاون؛ هناك بعثة طبية إسرائيلية في منطقة تيغاري (شمال أثيوبيا)، وقدم أطباء إسرائيليون تدريبات في المجال الطبي والعمليات الجراحية. إلى جانب إحياء ذكرى الهولوكوست في أثيوبيا للتذكير بكارثة اليهود، وقام نائب السفير الإسرائيلي بتقديم محاضرة في جامعة أدامـا للعلوم والتكنولوجيا(ASTU). بعنوان «مختبر الابتكار: حالة إسرائيل» عرض فيها قصة نجاح إسرائيل من دولة نامية تعاني الندرة والحروب إلى دولة رائدة في مجال الابتكار على مستوى العالم.[١٥]

كما يمتد التعاون بين البلدين في مجالات الدفاع المدني؛ ومكافحة الجراد؛ التوعية بالأمراض مثل كورونا؛ تطوير قطاع تربية النحل؛ المحاصيل المخصصة للتصدير؛ تهجين الحمضيات بدون بذور؛ الزراعة الصحراوية، أنظمة الري، وتوليد الطاقة، وغيرها من المجالات التي تعمق بنى الاستغلال الإسرائيلي لموارد أثيوبيا، وتعمق تبعية أثيوبيا لإسرائيل اقتصاديًا وأمنيًا وسياسيًا لتحقيق الاختراق في المجال الدبلوماسي وأنماط السلوك السياسي لأثيوبيا مع دول الجوار العربي وفي المحافل الدولية لصالح إسرائيل.

٣,٣ شركات خاصة تغزو أثيوبيا

تبين التقارير الصحافية والتقديرات أن هناك أكثر من ٥١ شركة خاصة إسرائيلية تعمل في مجالات مختلفة في أثيوبيا خلال العقود القليلة الماضية، تتصدرها شركات الأسلحة. تعمل شركة «رافائيل» في مجال الدفاع الجوي وتطوير وتصنيع سلاح الجيش الإسرائيلي الصلب والمحوسب؛ وتدور شكوك حول دورها في تزويد أثيوبيا بمضادات طيران مرتبطة بسد النهضة. كذلك تعمل شركة «إلبيت سيستمز» في مجال تطوير وتصنيع أنظمة الأسلحة الإلكترونية والأسلحة المتطورة؛ «بدأت الشركة أولى تجاربها في السوق العالمي بالاشتراك مع شركة من سنغافورة لصناعة المدرعة Sentinel II، والتي تعني الحارس باللغة العربية، وتم بيعها للجيش الأسترالي، وتعتبر أثيوبيا هي المحطة الثانية عالميًا لتلك الشركة لتجربة أنظمتها الإلكترونية، وأسلحتها المتطورة».[١٦]

تعتبر شركة (نطافيم) شركة رائدة على مستوى العالم في تكنولوجيا الري بالتنقيط، وتوفر حلولا مبتكرة لزيادة الإنتاج بأقل قدر من المياه، وتعمل على تقنيات الحد من انجراف التربة واستنزافها. للشركة عملاء في جميع أنحاء العالم، يستفيدون من العلوم الزراعية والدعم وابتكار حلول للبساتين، خاصة الكروم، ومحاصيل

تبين التقارير الصحافية والتقديرات أن هناك أكثر من 51 شركة خاصة إسرائيلية تعمل في مجالات مختلفة في أثيوبيا خلال العقود القليلة الماضية، تتصدرها شركات الأسلحة. تعمل شركة «رافائيل» في مجال الدفاع الجوي وتطوير وتصنيع سلاح الجيش الإسرائيلي الصلب والمحوسب؛ وتدور شكوك حول دورها في تزويد أثيوبيا بمضادات طيران مرتبطة بسد النهضة.

الطاقة الحيوية وغيرها، ولها قسم متخصص في الهندسة يقدم لعملائها الدعم الشامل، ووحدات مصممة خصيصًا لاحتياجات العملاء من ابتداء من دراسات الجدوى وصولا لتنفيذ تكنولوجيات متقدمة، وإقامة المشاريع في جميع أنحاء العالم. لقد وقعت الشركة مع الحكومة الأثيوبية عبر بنك (هبوعليم) الإسرائيلي، صفقة تمويل بقيمة أكثر من ٢٠٠ مليون دولار لصالح الحكومة الأثيوبية لتنفيذ مشروع ري ضخم لمحصول قصب السكر، ويغطي المشروع مساحة ٧٠ فدانًا. وتقوم الجهات المستفيدة بتسديد القرض للحكومة الإسرائيلية في فترة طويلة نسبيًّا حوالي من ٥-٩ سنوات.[١٧]

تعتبر شركة «أغريكسكو» من أهم الشركات الإسرائيلية العاملة في أثيوبيا، تعمل الشركة في مجال تصدير المنتجات الزراعية من إسرائيل، ولها مزارع في أثيوبيا ودول إفريقية أخرى، وتعمل الشركة بمنطق استعمار استغلالي استشراقي، حيث «يفتخر رئيس الشركة في حوار أجراه مع صحيفة (يديعوت أحرونوت) بأن العاملين بمزارع الشركة في أثيوبيا وإريتريا، كلهم من أصحاب البشرة السمراء، وأنه يستخدم المزارع الإفريقية لتعويض النقص الذي يسببه المزارعون الإسرائيليين في الداخل»، إلى جانب استغلال الشركة لاحتكارها سلالة الفراولة في عدد من الدول ومنها في أثيوبيا. إلى جانب ذلك تستغل شركات أخرى متعددة أثيوبيا مثل شركة «إسرائيل المحدودة للكيماويات والمعروفة باسم ICL»، شركة «أفترون المحدودة»، شركة الإسكان والتعمير «أريسون»، شركة «موتورولا»، وغيرها من الشركات. كما أن مجلس إدارة شركة الكهرباء الأثيوبية التابعة للدولة، منح شركة كهرباء إسرائيل تولي عملية إدارة قطاع الكهرباء في أثيوبيا.[١٨]

تنشط أيضًا شركات إسرائيلية في أثيوبيا لها علاقة باحتياجات بناء سدّ النهضة، مثل: شركة «سوليل بونيه»، شركة «أغروتوب Agrotop» للزراعة، شركة «كور CORE» للإلكترونيات، شركة «كرمل Carmel» للكيماويات، شركة جيجاوات جلوبال Gigawatt Global، وهي شركة لها علاقات مع عشر جامعات أثيوبية.[١٩]

تكمن خطورة الشركات الخاصة الإسرائيلية وبعضها شبه حكومية بأن قسما كبيرا منها مرتبط بالمؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية، يديرها ضباط أمن متقاعدون، ولهم علاقاتهم القوية مع البنية الأمنية؛ أي أن الشركات تلك تقوم بدور مزدوج في أثيوبيا: الدور التنموي- الاستغلالي، والدور الأخر تقوم بدور أمني وسياسي في تعميق العلاقات مع الحكومة الأثيوبية وجمع معلومات وتجنيد مصادر لها في أثيوبيا وإفريقيا والدول العربية المجاورة تحت غطاء استثماري وتجاري وصناعي وغيرها.

٣,٤ تطبيع أنماط تصويت أثيوبيا في المحافل الدولية

بين صالح النعامي أن إسرائيل نظرت باهتمام كبير لزيارة رئيس وزراء أثيوبيا آبي أحمد إلى تل أبيب في أيلول ٢٠١٩، كون دولة أثيوبيا لها وزن في جيوبوليتك إفريقيا وخصوصًا موقعها القريب من (البحر الأحمر، المحيط الهندي) وكبوابة لمنطقة القرن الإفريقي، وأكد نتنياهو خلال زيارة أحمد على أهمية التعاون الأمني والعسكري مقابل تقديم الدعم المتعدد لأثيوبيا؛ «إن الهدف الرئيس الذي تسعى تل أبيب لتحقيقه من حرصها على توثيق العلاقة مع أديس أبابا هو محاولة دفعها لتغيير أنماط تصويتها في المنظمات الدولية، لتتسق مع مصالح تل أبيب. وتجاهر إسرائيل برغبتها في توظيف علاقاتها مع الدول الإفريقية في التأثير على أنماط تصويتها في المنظمات الدولية، ودفعها إما للتصويت ضد مشاريع القرارات «المعادية» لها، أو على الأقل الامتناع أو التغيب عن التصويت».[٢٠]

وذكر النعامي أنه حسب دراسة صدرت عن مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، فإن أثيوبيا صوتت في

يهدف التعاون الإسرائيلي والتغلغل في أثيوبيا إلى تغير أنماط تصويتها لصالح إسرائيل؛ وتصوت أثيوبيا في غير صالح إسرائيل، وهذا النمط من التصويت الأثيوبي هو للحفاظ على العلاقات الأثيوبية العربية، وعلاقات حسن الجوار مع الدول العربية المجاورة التي ربطتها بأثيوبيا علاقات ضمن منظمة الوحدة الإفريقية التي تحتضنها العاصمة أديس أبابا. لكن ربما يشهد نمط التصويت الأثيوبي في المحافل الدولية تغيرًا؛ بفعل الجهد الكبير الذي تبذله إسرائيل في تطبيع وتتبيع العلاقات مع أثيوبيا.

الفترة بين عامي ٢٠١٥ و٢٠١٨، لصالح قرارات في غير صالح إسرائيل داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة ٦٦ مرة، ولم يحدث مطلقاً أن صوّتت ضد مثل هذه القرارات، في حين امتنعت عن التصويت ٨ مرات. ولإبراز الفرق بينها وبين دول أخرى في شرق إفريقيا، فقد صوّتت دولة جنوب السودان لصالح قرارات ضد إسرائيل ٥ مرات، وعارضت مثل هذه القرارات ٤ مرات، لكنها امتنعت ٣٧ مرة عن التصويت، وتغيبت ٣٠ مرة. في حين صوّتت راوندا ٨ مرات لصالح قرارات ضد إسرائيل، وعارضتها مرة واحدة، وامتنعت عن التصويت ٢٢ مرة، وتغيبت ٤٤ مرة.[٢١]

يهدف التعاون الإسرائيلي والتغلغل في أثيوبيا إلى تغير أنماط تصويتها لصالح إسرائيل؛ وتصوت أثيوبيا في غير صالح إسرائيل، وهذا النمط من التصويت الأثيوبي هو للحفاظ على العلاقات الأثيوبية العربية، وعلاقات حسن الجوار مع الدول العربية المجاورة التي ربطتها بأثيوبيا علاقات ضمن منظمة الوحدة الإفريقية التي تحتضنها العاصمة أديس أبابا. لكن ربما يشهد نمط التصويت الأثيوبي في المحافل الدولية تغيرًا؛ بفعل الجهد الكبير الذي تبذله إسرائيل في تطبيع وتتبيع العلاقات مع أثيوبيا ودفعها لتكون بوابة إسرائيل لإفريقيا.

خاتمة: محاولة تعميم نموذج أثيوبيا في إفريقيا

تراهن إسرائيل على الدور الكبير لدول القارة الإفريقية في تحقيق اختراقها في المحافل الدولية، وخصوصا في قضايا التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة، علما أن قارة إفريقيا فيها ٥٤ دولة، وعند استثناء الدول العربية في قارة إفريقيا وعددها (١٠) دول، ينتج أن هناك ٤٤ دولة في إفريقيا يمكن استغلالها من قبل إسرائيل في علاقاتها السياسية والاقتصادية وغيرها.

تعتبر إسرائيل أن أثيوبيا إحدى أهم البوابات إلى إفريقيا، وخصوصًا في شرق إفريقيا وتأثيرها في الإقليم الإفريقي، وقربها من المحيط الهندي والبحر الأحمر؛ أي أن لها وزنا مهما في الجيوبوليتك وفق الرؤية الإستراتيجية الإسرائيلية، وتعمل إسرائيل على تحقيق اختراق وتغلغل كبير في أثيوبيا ودعمها في مشروع سد النهضة من أجل تحقيق تنمية في مجالات الطاقة والماء والزراعة وغيرها ،وهذه التنمية مرتبطة بإسرائيل وشركاتها وإستراتيجياتها ورغباتها، وبذلك تتحكم إسرائيل في علاقات أثيوبيا في التعامل مع الدول الإفريقية الأخرى سواء العربية أو غير العربية، التي تحتاج إلى الطاقة والكهرباء والمياه والخبرات الزراعية؛ أي إن نموذج التنمية الأثيوبية بقيادة إسرائيل يمكن أن يتم تعميمه في دول إفريقية أخرى، سواء من خلال دور مباشر أو من خلال الدور الأثيوبي المرتهن لإسرائيل؛ وهذا التغلغل والدور المباشر وغير المباشر له أثمان سياسية واقتصادية ودبلوماسية ترغب إسرائيل في جنيها من القارة الإفريقية، إلى جانب الأرباح الاقتصادية وعمليات الاستغلال الكبيرة لأراضي إفريقيا وحاصيلها واليد العاملة فيها.

كما أن هذا الدور الإسرائيلي في إفريقيا لا يقتصر على الهيمنة والاستغلال والاستثمار والتطبيع مع الدول الإفريقية غير العربية؛ وإنما يهدف إلى جانب ذلك للعب دور مركزي في القارة الإفريقية، في مسألة المياه والحدود والأقليات والثروات الطبيعية والحيوانية والزراعية وغيرها؛ ومن خلال العلاقات الواسعة مع الدول الإفريقية غير العربية تعمل إسرائيل على تحقيق اختراق واسع على مستوى منظمة الوحدة الإفريقية التي كانت نصيرا للقضية الفلسطينية، والأخطر من ذلك؛ زعزعة إسرائيل للعلاقات بين الدول الإفريقية غير العربية والدول العربية في شمال إفريقيا؛ ومحاولة إضعاف مكانة مصر ومكانتها المركزية في الإقليم وعلى مستوى القارة الإفريقية، مقابل صعود دول أخرى كسياسة ملء الفراغ في إفريقيا لصالح إسرائيل وحلفائها.

الهوامش

١ للمزيد عن هذه الإستراتيجية والرؤية يُنظر، جميل هلال. **إستراتيجية إسرائيل الاقتصادية للشرق الأوسط**. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ١٩٩٦).

2 Robert Dussey. "The State of Israel: A Partner in the Development of the African Continent". Jewish Political Studies Review, Vol. 28, No. 34/ (Fall 2017). P 2526-.

٣ محمود محارب، «التدخل الإسرائيلي في السودان» في: مجموعة مؤلفين، **انفصال جنوب السودان: المخاطر والفرص**، (بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)، ص ٢٠٤.

٤ أماني الطويل. «الموقف الأمريكي من السودان: مسارات التفاعل وطبيعة المخططات» في: مجموعة مؤلفين، **انفصال جنوب السودان: المخاطر والفرص**، (بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)، ص ٢٣٣.

٥ أماني الطويل. «العلاقات الإسرائيلية الإفريقية: بين التاريخ والإستراتيجية»، في: عاطف أبو سيف (محرر). **علاقات إسرائيل الدولية: السياقات والأدوات، الاختراقات والإخفاقات**. (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار. ٢٠١٤)، ص ٤٠٠- ٤٠٦.

٦ كمال إبراهيم. «عودة إسرائيل إلى أفريقيا ١٩٨٠-١٩٩٠». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. عدد ٢. (ربيع ١٩٩٠). ص ٢٥٢-٢٥٥.

٧ كمال إبراهيم، ...، ص ٢٥٦.

٨ نرمين سعيد، هبة زين. «إثيوبيا وإسرائيل.. كيف التقت المصالح؟» المرصد المصري، ٢٣ تشرين الأول ٢٠١٩. https://marsad.ecsstudies.com/11560/

٩ إحسان أديب مرتضى. **الإثنيات: العرقيات والطوائف اليهودية في إسرائيل**. ط ٢. (بيروت: باحث للدراسات. ٢٠٠٧)، ص ٣٥٢.

١٠ دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية. (آخر مشاهدة بتاريخ ١/١٢/٢٠٢٠).
https://www.cbs.gov.il/en/mediarelease/Pages/2019/The-Ethiopian-Population-in-Israel.aspx

١١ «حسب رصد «العربي الجديد» اعتماداً على تقارير رسمية للحكومة الإثيوبية ومصادر مطّلعة، تشارك في بناء سد النهضة مجموعة من الشركات التي تنتمي إلى العديد من الدول الأجنبية والعربية، ومنها إسرائيل والسعودية والإمارات وإيطاليا والصين وغيرها... شركة «رافيل» الإسرائيلية المتخصصة في الصناعات الدفاعية، والتي تعاقدت معها الحكومة الإثيوبية لتزويدها بمنظومة الصواريخ الدفاعية Spyder-MR لتأمين السد، والمنطقة المحيطة به من أي هجمات جوية أو صاروخية. وبخلاف «رافيل»، فإن إثيوبيا تعاقدت مع شركات إسرائيلية في مجالات قواعد البيانات والاتصالات، بغرض تأسيس الشبكات الخاصة بالسد.» «المشاركون في تعطيش مصر: تعرف على الشركات المساهمة في بناء سدّ النهضة». العربي الجديد. ٢٤ تشرين الأول ٢٠١٩. https://bit.ly/2LcbBNO (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠).

12 Ofir Winter, Yogev Ben-Israel, "Water in the Land of the Nile: From Crisis to Opportunity?", *INSS Insight* No. 1089 (August 24, 2018).
https://www.inss.org.il/publication/water-land-nile-crisis-opportunity/ (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠)

١٣ وليد عبد الحي. «الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه سدّ النهضة الإثيوبي» ورقة علمية. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. ٢٠٢٠. ص ٤-٦. https://bit.ly/37zjZym (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠)

14 Embassy of Israel to Ethiopia, Rwanda and Burundi. "DIPLOMATIC AGENDA". 2016. https://embassies.gov.il/addis_ababa/Economy%20folder/May,%20201620%Newsletter.pdf (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠)

15 Embassy of Israel to Ethiopia. "Newsletter January & March 2019". https://embassies.gov.il/addis_ababa/AboutTheEmbassy/Documents/Newsletter%20January%20-%20March%202019.pd (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠)

١٦ سيد مصطفى. «بالأسماء.. شركات الأسلحة الإسرائيلية في إثيوبيا تهدد مصر من منابع النيل». **مرصد مصر- المرصد الإعلامي للقطاع الأمني**. ٣١ آب ٢٠١٦. https://bit.ly/37HJWvA (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠).

١٧ سيد مصطفى. « بالأسماء..

١٨ سيد مصطفى. « بالأسماء..

١٩ وليد عبد الحي، ص ٥.

٢٠ صالح النعامي. «رئيس الوزراء الأثيوبي في تل أبيب: رهانات إسرائيلية». العربي الجديد. ٢ أيلول ٢٠١٩. https://bit.ly/2VI2XZa (آخر مشاهدة بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٠).

٢١ صالح النعامي، ...